گـۆڤـاری زانـکـۆی ڕاپـەڕیــن
Journal of University of Raparin.
مجلة جامعة رابرين
E-ISSN: 2522 – 7130 P-ISSN: 2410 – 1036
This work is licensed under CC-BY-NC-ND 4.0
DOI: https://doi.org/10.26750/yd1prj93
تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥/٠٥/٢٠
تاريخ الـقبول: ٢٠٢٥/٠٨/٢٥
تاريخ النـــشر: ٢٠٢٦/٠٣/٢٠

التحليل التداولي للإشاريات غير الشخصية في كتاب (البارزاني والحركة التحررية الكردية) للرئيس مسعود البارزاني

ريبوار عبدالله خطاب[١] - آراس سيسو عبدالله[٢]
202239190001@soran.edu.iq - rebwar.khatab@soran.edu.iq
[١+٢]جامعة سوران، فاكلتي الآداب، قسم اللغة العربية، إقليم كوردستان، العراق.

الملخص:

للإشاريات أثر ملموس في بيان المعاني وتوضيحها، وتُعين الكاتب على نقل الأحداث بدقة ووضوح، فتساعد المتلقي على فهم الأحداث دون غموض، وتُسهِّل عليه تتبّع تسلسلها الزمني والمكاني، كذلك إبراز دور مَنْ قام بها وتوزيع الأدوار على الشخصيات المشاركة في تلك الأحداث، فضلاً عن تلك الإشاريات التي تأتي في النص للربط بين الجمل والفقرات؛ إذ تجعل النص هيكلاً منظماً مُتَّسِقاً خدمة لتوصيل سليم للقارئ. فيأتي هذا البحث بالتركيز على الإشاريات غير الشخصية التي وردت في كتاب (البارزاني والحركة التحررية الكردية) للرئيس مسعود البارزاني، وإبراز أثرها في بيان المقصود وتوضيح النصوص.

ولإنجاز هذا البحث اعتمدنا على التحليل التداولي؛ لتحليل الأدوات والآليات الإشارية فيها، ثمّ حللنا أهم شواهد الإشاريات غير الشخصية وكيفية أثرها في بيان الدلالات وتوظيفها التداولي في النص، وقد نتوصل إلى جواب بعض التساؤلات التي يهدف البحث إلى التوصل إليها، منها: كيف حاول الكاتب أن يقوي كلامه بواسطة تلك الإشاريات؟ وأيضاً كيف استعمل التقنيات المتعددة لنجاح عملية التواصل؟

الكلمات المفتاحية: التداولية، الإشاريات، التواصل، السياق، الزمانية والمكانية، العرفية والخطابية.

A Pragmatic Analysis Impersonal Deixis in the book “Barzani and the Kurdish Liberation Movement" by President Masoud Barzani

Rebwar Abdullah Khattab[1] - Aras Siso Abdullah[2]

[1+2]Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Soran University, Soran, Kurdistan Region, Iraq.

Abstract:

Deictic expressions play an essential role in enhancing textual clarity and coherence. They enable the writer to conveying events accurately and clearly, and help the reader understand these events without ambiguity, and making it easier to follow their chronological and spatial sequence, highlights the role of those who carried them out the, and the distribution of roles to the characters involved. Additionally, they function as cohesive devices linking sentences and paragraphs, thereby contributing to a unified textual structure. This study focuses impersonal deixis in "Barzani and the Kurdish Liberation Movement" by President Masoud Barzani, aiming to explore its function in reference resolution and meaning construction.

the study adopts a descriptive-analytical method to examine the forms and functions of deictic elements within the text. Then the research analyzed the most important indicative signs and how they affect the expression of meanings and their usage in the text. This analysis reveals that the author strategically employed these expressions to strengthen discourse cohesion and establish semantic connectivity across textual segments.

Keywords: Pragmatics- Deixis- Communication- Context- Temporal and Spatial- Conventional and Discursive.

المقدمة:

تتَّجه الدراسات اللغوية الحديثة نحو النظريات والآليات التي تهتم بالعملية التواصلية بين طرفي التخاطب، ومن أهم تلك الدراسات ما سُميت بـ"التداولية"؛ التي تتمحور حول تحليل مكوّنات النص وآلياته قصد إيصال الرسالة بشكل مفهوم وفعّال. وتعتمد التداولية على عناصر رئيسة، منها: الإشاريات بنوعيها الشخصية وغير الشخصية؛ إذ تؤثر هذه العناصر تأثيراً مباشراً في بيان دلالة النص، وتمنحه جمالاً ووضوحاً. وللإشاريات غير الشخصية أثر كبير في تسهيل عملية الفهم عند المتلقي، وتُضفي متعة في أثناء القراءة، وتشارك في توضيح مقاصد المتكلم وتفسير نواياه تجاه المخاطَب، مما يعزز من فعاليّة الخطاب وتزيد تأثيراً في سياقات التواصل المختلفة.

ومن هذا المنطلق، حاولنا أن نحلل إشكالية الموضوع عبر بعض التساؤلات، منها: ما أثر الإشاريات غير الشخصية في الخطاب؟ وما مدى اعتماد الكاتب عليها في كتابه (البارزاني والحركة التحررية الكردية)؟ وهل كان لهذه الآليات والأدوات الإشارية دورٌ فعال في تقوية خطابه قصد إنجاز نص أكثر وضوحاً؟ وهل شاركت هذه الأدوات وأثرت في وضوح الرسالة؟

وللحصول على إجابات دقيقة اعتمدنا منهج التحليل التداولي؛ لوصف الإشاريات غير الشخصية ووسائلها وأثرها في إقناع المتلقي، ومن ثمَّ يسعى البحث إلى تحديد الأغراض التي قصدها الكاتب عن طريق استعماله للإشاريات غير الشخصية التي وردت في العينة المدروسة، مبرزاً أثرها الفاعل في تشكيل الخطاب، وإيضاح قوتها، إلى جانب مساهمتها في توضيح المقصود، وتوضيح الدلالة، وإقناع المخاطَب، وترتيب الأحداث ترتيباً زمانياً ومكانياً وخطابياً، وكذلك عرفياً.

وللدراسة أهمية بالغة لكونها آليات تُستعمل في النصوص لتحديد مكان الأحداث وزمانها، كذلك لترتيب النصوص وربط بعضها ببعض، إضافة إلى تحديد دور الشخصيات عبر منحها ألقابها، وبيان أدوارها المجتمعية. وبما أنّ العينة المدروسة تتكون من خطابات سياسية وتاريخية، فإنّ الإشاريات غير الشخصية تلعب دوراً بارزاً في نقل الأحداث وتحديد تسلسلها.

وبناءً على ذلك، يُقسَّم البحث إلى مبحثين؛ المبحث الأول بعنوان: الإشاريات في الدرس التداولي، ويشتمل على مطلبين؛ المطلب الأول: مفهوم الإشاريات، والمطلب الثاني: الإشاريات غير الشخصية. أمَّا المبحث الثاني فيأتي بعنوان: الإشاريات غير الشخصية في خطاب الرئيس، ويضمّ مطلبين؛ المطلب الأول: الإشاريات الزمانية والمكانية في خطاب الرئيس، ويُقسَّم إلى نقطتين: الأولى: الإشاريات الزمانية في خطاب الرئيس، الثانية: الإشاريات المكانية في خطاب الرئيس. والمطلب الثاني: الإشاريات الاجتماعية والخطابية في خطاب الرئيس، وورد في نقطتين: الأولى: الإشاريات الاجتماعية في خطاب الرئيس، الثانية: الإشاريات الخطابية في خطاب الرئيس. وأخيراً يُختَتَم البحث بمجموعة من النتائج التي توصل إليها.

ولا شكّ في أنَّ هناك دراساتٍ وفيرةً عن التداولية وعناصرها، ولا سيّما الإشاريات، وقد استفدنا منها (من الكتب والبحوث سواءٌ أكانتْ مكتوبةً بالعربية، أم أجنبية، أم مترجمةً إلى العربية)، في حين لم نجد دراسة عربية محضة عن الإشاريات غير الشخصية مطبقة على العينة المدروسة؛ لذا سنسعى إلى التعمّق في الموضوع لرصد دور هذه الإشاريات في توضيح الخطاب وبيانه، وكيفية توظيفها لدى الكاتب لإبراز مقاصده وجمالية نصوصه.

المبحث الأول: الإشاريات في الدرس التداولي

المطلب الأول: مفهوم الإشاريات:

تأسست السيميائية عند بيرس (Charles Sanders Peirce) كمنهج تحليلي في إطار نظرية فلسفية لدراسة العلامات والرموز خدمةً لتواصل مفهوم، وقد اختلف ما قدّمه دي سوسير عمّا ذهب إليه بيرس؛ إذ ركّز الأوّل على العلاقة البنيوية بين الدال والمدلول، بينما اهتم الثاني بالعلاقة الديناميكية بين العلامات والتأويل، ويرى أنَّ الإنسان يفكر بواسطة العلامات:

"والتفكير الوحيد الذي نعرفه هو التفكير من خلال العلامات، فهو يوجد بشكل أرفع بالضرورة في العلامات. ومن منظور بيرس: من الخطل القول فقط بأنّ اللغة الجيدة ضرورية للتفكير الجيد ما دامت هي جوهر التفكير ذاته، إذ لا توجد علامة في حدّ ذاتها وطبيعية، بل يمكن لكلّ شيء ولكل مظهر شيء ما أن يصبح علامة، فالتحول إلى علامة يعني الدخول في سياق ثلاثي للسيميوزيس (Semiosis)، وبهذا المعنى فالسيميائية ليست علماً للعلامات، بل هي علم السيميوزيس" (أرمينكو، د.ت، صفحة ١٣). والإنسان عند بيرس هو علامة، وحين يفكر الإنسان فهو علامة، أي: هناك ربط جوهري بين الفكر والعلامة، وكلاهما يشكلان بنية إنسان عاقل ذاكرٍ.

وقد حصر ليفنسون الإشاريات في: "إشاريات شخصية، زمنية، مكانية، اجتماعية، وإشاريات خطابية" (بوقرة، ٢٠٠٩، صفحة ٨٧). ويُلاحظ أنّ التعبيرات الإشارية هي: "تذكير دائم للباحثين النظريين في علم اللغة بأن اللغات الطبيعية وُضِعَتْ أساساً للتواصل المباشر بين الناس وجهاً لوجه، وتظهر أهميتها البالغة حين يغيب عنا ما تشير إليه فيسود الغموض ويستغلق الفهم" (نحلة، ٢٠٠٢، الصفحات ١٦-١٧). وتعتمد أكثر الإشاريات على السياق الذي تنتج فيه، سواءً أكان السياق لغوياً أم غير لغوي؛ "لأنّ السياق قد يكون هو الذي يحدد العبارة ومرجعها، لذلك لا بدّ من التحقق من مطابقة المرجع للواقع، وأن تكون الجملة قد قيلت في الظروف التاريخية المناسبة، فإن لم يتحقق شرط الصدق كانت الجملة كاذبة" (نحلة، ٢٠٠٢، صفحة ١٨).

فمن المهم أن نعرف سياق التلفظ حتى نصل إلى تلك الأغراض الكامنة وراء الإشاريات. إضافة إلى أنَّ الإشاريات تندرج ضمن العلامات اللغوية التي لا يظهر مرجعها إلّا في سياق الخطاب التداولي؛ لأنها "لا تدل على معنى مستقل في ذاتها، فبالرغم من ارتباطها بمرجع، إلا أنه مرجع غير ثابت" (الشهري، ٢٠٠٤، صفحة ٨٠). ومن ثمَّ فإنَّ الإشاريات ليست مجالاً خاصاً في الساحة التداولية، بل تُدرَّس في مجالات مختلفة، "ونتيجة لاهتمام الباحثين بهذا الجانب ظهر علم الدلالة المقاميّ الذي تتلخص مهمته بتفحص السياقات، واستخراج المقامات التواصلية جراء الإشارات، وعليه أصبحت العناصر الإشارية مجالاً مشتركاً بين علم الدلالة والتداولية" (البستاني، ٢٠١٢، صفحة ٩٠).

كذلك تُعدُّ الإشاريات من العناصر التداولية المهمة التي يستند إليها النصُّ، كالضمائر والروابط الزمانية أو المكانية أو غيرها، وهذه العوامل "يُقصد بها كلُّ ما يشير إلى ذات، أو موقع، أو زمن... وهي تترابط مع مفهوم المشير، إذ يُفهم عادة من إشارية تعيين مكان وهوية الأشخاص، والأشياء، والعمليات والأحداث، والأنشطة...، بالنسبة إلى السياق المكاني والزماني الذي أنشأه وأبقاه عمل التلفظ" (النجار، ٢٠١٣، صفحة ٨٧). وتنتشرُ الإشاريات في النص حسب استعمالات الكاتب وأغراضه الظاهرة والخفية؛ إذن "لا يقف دورُ الإشاريات في السياق التداولي عند الإشاريات الظاهرة، بل يتجاوز إلى الإشاريات ذات الحضور الأقوى، وهي الإشاريات المستقرة في بنية الخطاب العميقة عند التلفظ به، وهذا ما يعطيها دورها التداولي في استراتيجية الخطاب؛ وذلك لأنّ التلفظ يحدث من شخص له سمات معينة، وفي مكان وزمن معينين" (طه، ٢٠٢٠، صفحة ٤٩).

لا شكّ في أن الإشاريات تفتقر إلى الاستقلالية في الاستعمال داخل النص؛ فهي تحتاج إلى عوامل نصية أخرى للحصول على دلالة صحيحة، وتتسم المرجعيات في الوقت نفسه بمظهر آخر: فهي "لا تستطيع استقبال معنى محدد إلاّ إذا كانت على علاقة وجودية مع الموضوع الذي تمثله، ومن هنا فإنها أسهمت في طبيعة ما يسميه بيرس بـ (المؤشر Index)، والمؤشر هو الحركة التي تدل بواسطتها على شيء (موضوع) ما، وفي غياب الشيء، فإنّ المؤشر لا يشرك معه شيئاً أبداً، أيْ أنّه لا يدل على أيّ شيء، والحركة لا تصبح تحديداً إلا إذا كانت على علاقة حقيقية بالموضوع (الشيء)" (سيرفوني، ١٩٩٨، صفحة ٢٨).

وهكذا نختتم القسم الأول من البحث الذي تناول مفهوم الإشاريات بشكل عام، ومن هنا ننتقل إلى القسم الثاني للتطبيق التداولي لموضوع الإشاريات غير الشخصية في خطاب الرئيس، وهو مقسومٌ إلى مبحثين تطبيقيين.

المطلب الثاني: الإشاريات غير الشخصية:

لا يخفى أنّ أثر الإشاريات غير الشخصية (Non-personal Deixis) لا يقل أهمية عن الإشاريات الشخصية، وبإحالاتها الزمانية والمكانية والاجتماعية والخطابية تؤدّي دوراً محورياً في الخطابات السياسية والتاريخية؛ فالإشاريات الزمانية تسهمُ في تحديد زمن الأحداث بوضوح، مما يمكّننا من فهم تسلسلها بدقة وتجنب الخلط بينها. أمّا الإشاريات المكانية فتحدِّد المواقع التي وقعت فيها الأحداث، مما يُضفي دقة ومصداقية على العملية التواصلية، وقد دُرِسَتْ هاتان الإشاريتان في المطلب الأول.

بينما خُصص المطلب الثاني للإشاريات الاجتماعية والخطابية؛ إذ تعتمد الإشاريات الاجتماعية على أثر السياق في تحديد معناها وإنتاج فعل إنجازي ضمن سياقات متنوعة. أما الإشاريات الخطابية، فتوجد داخل النص بهدف إنشاء

علاقات ترابطية وإنجازية تعزز عملية التواصل وتؤثّر في جمالية النص، فكلّ هذه الإشاريات تدخل ضمن التحليل التداولي والنصي. لذلك يلاحظ اللغوي (بار هيلل) أنّ "أكثر من تسعين بالمائة من التلفظات التي تنطق بها في سياق حياتنا اليومية هي تلفظات إشارية يحددها السياق التلفظي الذي وردت فيه" (علوي، ٢٠١٤، صفحة ٤٤١).

للإشاريات غير الشخصية إسهامات حاسمة في توضيح المعلومات وتسهيل التواصل، إذ تجعل الرسالة أوضح فهماً وأكثر تحديداً، وتقلل من احتمالية سوء الفهم، ولا سيّما الإشارات الزمانية والمكانية؛ إذ "لا يمكن أن نتحدث عن لغة خارج الصيرورة الزمانية والحتمية المكانية، لأنّ اللغة خاصية إنسانية حضارية وثقافية، تسعى إلى تأسيس نظام تواصلي وتداولي عملي يربط بين مقاصد الكائنات الإنسانية على وفق مطالبهم وحاجاتهم التي تتطلب وضع نظام لغوي واضح وواقعي لا يتعارض مع مختلف السياقات التي تتأسس ضمنها المعاني في الزمكان المتعاقب، وإن كان الزمان متغيراً والمكان ثابتاً، فإنّ اللغة تحاول تكييف ما هو الأنسب للتداول اللغوي في ضوء أفعال الكلام، بحيث تكتسب الإشارات الزمانية والمكانية قيمتها الدلالية عبر ما يحيط بها من عناصر سياقية قادرة على تحديد وظيفتها بإشارتها إلى زمان أو مكان محددين، فما يناسب زماناً قد لا يناسب زماناً آخر، وما يصلح لمكان قد لا يصلح لمكان آخر" (برتيمة، ٢٠٢٣، صفحة ١٠٨)، وهذا ما جعل الإسهامات الزمانية والمكانية ضروريةً لبناء قصد مفهوم وتواصل فعّال.

المبحث الثاني: الإشاريات غير الشخصية في خطاب الرئيس:

المطلب الأول: الإشاريات الزمانية والمكانية في خطاب الرئيس:

أولاً: الإشاريات الزمانية temporal deixis

هي مجموعة من الأدوات والأسماء التي تأتي في النص لترتيب زمن الأحداث، وإضفاء تسلسل واضح لإفهام القارئ فهماً سهلاً وصحيحاً، وهي: "كلمات تدل على زمان يحدده السياقُ بالقياس إلى زمان التكلم، فزمان التكلم هو مركز الإشارة (deictic center) الزمانية في الكلام، فإذا لم يُعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ" (نحلة، ٢٠٠٢، صفحة ١٩). لذلك فالنظام التداولي "لا ينظر إلى الزمن المعجمي، أو الزمن الصرفي، أو الزمن النحوي، ولكن نظرته إلى الزمن السياقي" (السلمي، ٢٠٢١، صفحة ١٣٦٩٦)، وهذه الإشاريات تحيل في الجملة إلى زمان التكلّم.

والزمان نوعان: "زمن نحوي، وزمن كوني خارجي؛ والنحوي زمن الجملة، والكوني الظروف التي تحيل إلى العالم الخارجي، مثل: الظروف، وأسماء الوقت والزمن التي يكون تقديرها في العالم الخارجي" (عكاشة، ٢٠١٣، صفحة ٨٥). إضافة إلى الزمن النفسي، "وهو الذي تنظم اللغة معطياتها أو عناصرها التي تدلّ على الزمن فيها حسب نظام الزمن النفسي، والعناصر اللغوية المعبرة عن الزمن هي حصيلة اللقاء بين ثلاث نقاط زمانية، وهي: نقطة زمن الحدث أو

الواقعة نفسها، ونقطة زمن الكلام أو التلفظ (Énonciation)، ونقطة الزمن المرجعي" (الزناد، ١٩٩٣، الصفحات ٧٢-٧٣). وهذه الأدوات الزمنية لها أثر بارز في النصوص السردية والخطابات السياسية؛ إذ تُوظّف لتأطير الأحداث، وترتيب تسلسلها الزمني وتوضيحها، مما يعزز فاعليتها التداولية.

وعلى الرغم من اهتمام الباحثين والمختصين في هذا المجال بالأدوات الزمانية الكونية التي تنقسم إلى فصول، وسنوات، وأشهر، وأيام، وساعات... إلخ، إلا أننا لا نريد أن نهمل دور الزمن النحوي (Tense)، وقد يتطابقان في سياق الكلام، "وقد يختلف الزمن النحوي عن الزمان الكوني؛ فتُستعمل صيغة الحال للدلالة على الماضي وصيغة الماضي للدلالة على الاستقبال، فينشأ بينهما صراع لا يحله إلا المعرفة بسياق الكلام ومرجع الإشارة، فالزمن النحوي لا يطابق الزمان الكوني في كثير من أنواع الاستعمال" (نحلة، ٢٠٠٢، صفحة ٢١). فللزمان النحوي دلالةٌ زمانية لتحديد زمن الكلام، كما في هاتين الجملتين: "(أعيش هنا الآن - I live here now)، و(كنت أعيش هناك آنذاك - I lived there then)؛ فيمثل الزمن المضارع الصيغة الأدنى، بينما يمثل الزمن الماضي الصيغة القصية" (يول، ٢٠١٠، صفحة ٣٥).

مما تجدر الإشارة إليه أنّ هذه الإشاريات لا تُستعمل لتحديد الزمان فقط، بل قد تُوظّف للإشارة إلى فترات ممتدة أو مستقبل غير محدد، كقولنا: (غداً ستكون الدنيا أجمل)، ولا نقصد بالغد يوماً بعينه، بل المستقبل غير المحدد. ومن الضروري أن نذكر أنّ هناك أنظمةً موسعة غير زمانية (non-temporal reference) مثل وقت التقويم (التواريخ كما في ولادة الإنسان، أو تحديد تصادف حادثة ما...)، وتوقيت الساعة (كما في تحديد ساعة الحروب والاتفاقات...)، ومع ذلك فإنّ صيغ الإشارة الزمانية هذه يتم تعلمها في مرحلة تتلو استعمال تعابير تأشيرية مثل: (البارحة، وغداً، واليوم، والليلة، والأسبوع القادم، والأسبوع الماضي، وهذا الأسبوع...). وتعتمد هذه التعابير في تفسيرها على معرفة وقت الكلام ذي العلاقة؛ "فإذا لم نكن عارفين بوقت القول، مثل: (عندما يُكتب على باب المكتبة: سنعود بعد ساعة)، فلن يكون بمقدورنا معرفة هل سيطول انتظارنا أو يقصر" (يول، ٢٠١٠، صفحة ٣٤)؛ لذلك تشارك هذه الأدوات في تيسير الحياة اليومية والتواصل الاجتماعي.

وكما هو معلوم، فإنَّ للشعب الكوردي تاريخاً زاخراً بالمعارك والأحداث، وتعدّ صفحات هذا الكتاب سرداً دقيقاً لتلك الوقائع. ولا شك في أنّ الكتب التي تُعنى بنقل الأحداث تحتاج إلى الدقة والأمانة في التوثيق، وإلاّ فقد النص جاذبيته وأهميته، وتزعزعت ثقة القارئ بالمحتوى. ومن جهة أخرى، عندما نتحدث عن الإشارات الزمنية، فإننا لا نعني بذلك أسماء الزمان فقط، بل نقصد كلّ عبارة تشير إلى زمن محدد، بما في ذلك الأزمان النحوية.

وفي هذا السياق، يستعرض المؤلف لحظات دَسّ السّمّ لمصطفى البارزاني، حيث يقول: "في أواسط ١٩٣٦ استدعى متصرف الموصل مصطفى البارزاني إلى دائرته وهناك دسّ له السّمّ في القهوة ونجا من الموت بأعجوبة وكانت أشبه بمعجزة، فقد ظلّ يصارع الموت لمدة أسبوعين، وبعد تلك الفترة أفاق من حالة الغيبوبة وكان يذكر بالامتنان والتقدير المساعدات الكبيرة التي قدّمها لهم الشيخ عجيل الياور شيخ شمر وعائلتا كشمولة وعباوي" (البارزاني، ١٩٩٧، صفحة ٥٧/١). بدأت الفقرة بتحديد السنة، ولكن الكاتب لم يكُن مؤكّداً في تحديده الزمني، فاستعمل تعبير (أواسط) لتجنّب الالتزام بتحديد زمني دقيق لوقوع الحادثة، كما أنّ توظيف صيغة الماضي في الفعلين (كان، وكانت) يُعدّ إشارة زمنية لتحديد وقوع الأحداث في الزمن الماضي وانتهائها. وفضلاً عن ذلك، فقد جاءت عبارة (لمدة أسبوعين) لتحديد مدّة زمنية بدقة، ثمّ تلتها إشارة (وبعد تلك الفترة) التي تناولت ما حدث بعد الزمن المحدد سابقاً. جميع هذه الإشارات الزمنية الواردة في هذه الفقرة شاركت في تقديم سرد حيويّ للأحداث، ورسختها في سياق تاريخي، مما أعطى المتلقي معلومة تاريخية بواسطة مرجعية إشارية زمانية، فيشعر بلحظات وقوعها وحيوية أحداثها؛ ولو حذفنا هذه الأدوات الزمانية من الفقرة لاختلّ المعنى، وكأنّ الحادثة وقعت دون تسلسل منطقي أو سياق زمني واضح.

وفي إحدى فقرات الجزء الثاني من الكتاب، يتناول الكاتب موضوع هوية كركوك، مشيراً إلى الزمن الذي يكشف عن حقيقتها التاريخية، حيث يقول: "قبل الإجراءات العنصرية المفضوحة بعد العام ١٩٧٥ كانت مدينة كركوك يسكنها ٨٠٪ من الكرد والباقي من العرب والتركمان والآشوريين، وكان بالإمكان أنْ تكون مدينة التآخي فيما لو استقامت سياسات الحكومات العراقية، أما الآن فهي المدينة الرمز للتعريب والتهجير والاضطهاد وإجراءات التغيير القومي" (البارزاني، ١٩٩٧، صفحة ٩١/٢). في بداية النص وردت إشارتان زمانيتان متضادتان: (قبل، وبعد)، اللتان وردتا للإشارة إلى مجموعة الإجراءات التي نُفذتْ بعد عام ١٩٧٥م، مع تسليط الضوء على الأحداث التي سبقت تلك الإجراءات. في تلك المدّة، كانت مدينة كركوك ذات أغلبية كردية، وهو ما أكّده الكاتب باستعمال الفعل الماضي (كان). كما أنّ أداة الشرط (لو) جاءت للتعبير عن افتراض زمني، ثم ينتقل الكاتب للحديث عن الوضع الراهن لكركوك مستعملاً الإشارة الزمنية (الآن)؛ لوصف التحولات التي طرأتْ على هويتها القومية. وقد وظّف هذه الإشارة الزمنية للمقارنة بين وضع كركوك السابق والراهن، وإبراز التغييرات غير العادلة التي جرت على المدينة.

ويتناول الرئيس مسعود البارزاني حديثاً دار بينه وبين وزير الداخلية آنذاك، مسلطاً الضوء على تفاصيل الحوار والأحداث التي جرت في أثناء تلك الفترة، فيقول: "في ١٣ آذار ١٩٧٠، بعد إعلان اتفاقية آذار، كنت في البصرة مع صالح مهدي عماش وهو آنذاك بمنصب وزير الداخلية فسألته: لماذا قتلتم عبد الكريم قاسم ولم ترسلوه إلى خارج البلاد؟ وكيف كان موقفه عندما جئتم به إلى دار الإذاعة؟ فأجاب: في الحقيقة إنّنا لم نُجْرِ له محاكمةً، وكان مجلس

قيادة الثورة يتداول في مصيره عندما سمعت دوي صليات من بندقيات أوتوماتيكية، فخرجنا نستطلع الأمر لنجد عبد الكريم والمهداوي وطه الشيخ أحمد جثثاً هامدة مزقها الرصاص، كان مَن أمر بإعدامهم العقيد عبد الغني الراوي دون إذن منّا فقد أمر جنوده بفتح النار والقضاء عليهم" (البارزاني، ٢٠٠٢، صفحة ٨٢/٣). وردت إشاريات زمانية دقيقة تشمل ذكر اليوم (١٣) والشهر (آذار) والسنة (١٩٧٠)، مما يسهم في تقريب صورة الحدث إلى ذهن القارئ، كما برز دور الفعل الماضي في تأكيد وقوعها وانتهائها، وفضلاً عن الأفعال المضارعة المسبوقة بأداة الجزم (لم) التي تُحوّل زمن المضارع إلى الماضي. وقد بلغ عدد الأفعال والظروف في الفقرة خمسة عشر فعلاً في ستة أسطر فقط، مما يبرز الكثافة الزمنية للنص. وقد أسهمت هذه الإشاريات في تقديم صورة دقيقة للحادثة، فتُمكّن القارئ من الفهم العميق، وتؤدي وظيفة تداولية تواصلية من خلال ترتيب الأحداث ترتيباً زمنياً منطقياً.

ودوّن الكاتب لحظات توقيع اتفاقية ١١ آذار، إذ سطّر: "بعد تناول الغداء بدأت المحادثات بين الطرفين وتواصلت حتى الساعة الثانية عشرة ليلاً، وفي اليوم التالي بدأت المحادثات في التاسعة صباحاً وتواصلت حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وبالأخير تمت صياغة مواد الاتفاق في ليلة ١٠-١١ آذار ١٩٧٠ وفي الساعة الحادية عشرة والنصف ليلاً وضع كل من البارزاني وصدام توقيعه عليه" (البارزاني، ٢٠٠٢، صفحة ٢٤٣/٣). في هذه الفقرة، يُبرز النص تسلسلاً زمنياً دقيقاً للأحداث، مما يعكس الأهمية التاريخية للحدث، ويظهر تمكن الكاتب في تقديم التفاصيل الزمنية بدقة متناهية، مما أضفى على النص أمانةً ومصداقية. والسبب الرئيس في دقة السرد يرجع لأهمية الاتفاق عند الشعب الكوردي؛ لذلك أراد الكاتب أن ينقل الأزمان الثانوية إلى جانب الأزمان المحورية الرئيسة.

ولا بدّ من أنْ نشير إلى أنَّ للإشاريات الزمانية في الخطاب السياسي والتاريخي مكانةً محورية في تعزيز النص، حيث تُستعمل لتأطير فترات زمنية معينة، وكذلك لتحفيز القارئ نحو استشراف المستقبل. وإنّ تحديد زمن الأحداث "لا يمكن أن يكون سوى اللحظة ذاتها لإنتاج الملفوظ، ولا سيما أن الحاضر هو منبع الأزمنة" (ذهبية، ٢٠١٢، صفحة ١٨٣). ومن زاوية أخرى، يستطيع الكاتب بناء مصداقية الخطاب وتقديم كلامه في سياق متسلسل يسهل تذكره، وتعدّ هذه الإشاريات أدوات تداولية مؤثّرة تسهم في تنظيم الإطار الزمني للأحداث، وتوضيح التسلسل المنطقي للأفكار، وتعزز تفاعل المتلقي مع النص ضمن سياقاته التاريخية.

ثانياً: الإشاريات المكانية /place deixis

تتميّز الإشاريات المكانية عن الزمانية بأنّها مجموعة من الأدوات والوسائل التي تشير إلى مكان معين، وهي: "التي تحيل إلى المواضع التي تفاعل معها الخطاب. ويمثل المكان بُعْداً أساسياً يحسُّ به الإنسان ويؤثر في وجوده وكينونته،

وإحساسه بالمكان أسبق من إحساسه بالزمان، غير أنَّ إدراكه للمكان يقترن بأبعاد حسية مادية، ويقترن إحساسه بالزمان بأبعاد ذهنية شعورية، والإحالة الظرفية يعين دلالتها الواقع" (عكاشة، ٢٠١٣، صفحة ٨٤). وعليه تُصنف الإشارات المكانية وفق القرب والبعد؛ فـ(هذا، هذه): للقريب، و(هنا، ثَمَّ): للقريب أو المكان الذي وقع فيه الكلام، و(هناك): للبعيد، و(هنالك): لمسافة أبعد. ومن الملاحظ أنَّ أداتي الإشارة (هذا وهذه)، على الرغم من استعمالهما كضميرين، تؤديان وظيفة إشارية مكانية عند اقترانهما بالأسماء الجغرافية، كما في: (هذا الوطن)، أو (هذه الدولة)، أو (هذه المدينة). كذلك بعض الظروف والأفعال "التي تعكس الحركة؛ فقد استخدمت الإنجليزية في الماضي (hither) بمعنى: إلى هذا المكان، و(thence) بمعنى: من هذا المكان، أي باتجاه المتكلم وبعيداً عن المتكلم على التوالي" (الركابي، ٢٠١٨، صفحة ٥٢).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ دلالة المكان "تحول من دلالتها الجغرافية إلى دلالة شخصية، لا يمكن فهمها والوعي بأهميتها إلا بالعودة إلى السياق الذي وردت فيه، والمتمثل في حياة الشاعر (أو الكاتب) وما اعتراها من ظروف فرضت أهميتها في استعمال الدلالة السياقية للمكان" (يحيى ومرداسي، ٢٠٢١، صفحة ٢٨٧). وعلاوة على ذلك، فإنَّ "المكان والزمان من السياقات الاجتماعية والدينية يشاركان في تطعيم العناصر الإشارية، وإضفائها معنى وتوكيداً" (خطاب وحمد، ٢٠٢٣، صفحة ٦٥٧).

فعلى وفق ذلك، تُعدّ العبارات التي تحدّد مكان الحدث أو زمانه من أبرز العناصر التي تسهم في تحديد معنى الجملة، فبدون هذه الإشاريات يصعب الوصول إلى المعنى المقصود. وهذا يزداد أهمية في النصوص السياسية والتاريخية التي تتضمن أحداثاً واتفاقات وتغييرات جغرافية وتاريخية؛ لذلك يُلزَم الكاتب بتحديد مكان "مركز التكلم" ضمن النصوص لتوضيح السياق بشكل دقيق. وقد يكون الأساس التداولي الحقيقي للتأشير المكاني تباعداً نفسياً (Psychological distance)؛ إذ "يميل المتكلم إلى معاملة الأشياء البعيدة مادياً على أنّها بعيدة نفسياً (مثلاً: ذلك الرجل هناك)" (يول، ٢٠١٠، صفحة ٣٣). وعليه فإنَّ اسم المكان (هناك) يحمل بُعداً نفسياً إلى جانب البُعد المكاني، وهذا هو الإنجاز التداولي لهذه الإشاريات.

تتعدد الإشاريات المكانية في الكتاب، وهي تُسهم في تعزيز دقة تحديد جغرافية الحادثة، ومنها ما ورد في سياق الحديث عن مسيرة اللجوء إلى الاتحاد السوفيتي: "صدرت الأوامر إلى القوات بالتحرك تدريجياً إلى منطقة (هركي بنه جي)، وبطول يوم ٢٢-٥-١٩٤٧ كانت جميع القوات قد وصلت إلى قرى درى وباسيا وستوني وغيرها" (البارزاني، ١٩٩٧، صفحة ٢٤٩/١). وتُعدُّ منطقة (هركي بنه جي) منطقة جبلية حدودية تقع بين العراق وتركيا في شمال إقليم كردستان-العراق، وهي تُشير إلى موقع جغرافي محدد، ونقطة الهدف أو الموقع الرئيس الذي صدرت إليه الأوامر بالتحرك. هذه

الإشارة المكانية تُحدد بداية العملية أو المكان المنشود، مما يُضفي بُعداً مكانياً واضحاً على السرد. فَذِكْر أسماء القرى يُظهر الطابع المحلي والواقع الجغرافي للأحداث، إذ يعرض دقة الحادثة، ويُشعر القارئ بالتدرّج المكاني في أثناء التحرك. ومن ثمَّ فإنَّ الإشارة إلى القرى (دري، وباسيا، وستوني) توضح مواقع إضافية تعزز النص وتدعمه، وتعكس التنظيم والتخطيط في العملية. أمّا عبارة (غيرها) فهي تفتح المجال لتصوّر أماكن أخرى غير مذكورة، أي قد تكون هناك قرى وأماكن أخرى ولكن ما ذكره الكاتب هو الأهمّ بالنسبة لسرد الحادثة بشكل واقعي. ويحاول القارئ من خلال ذلك توسيع نطاق الحدث المكاني في ذهنه، وقد وُظِّفت هذه الإشاريات المكانية لإبراز قدرة قوى الثورة الكردية على السيطرة على المناطق الحدودية، أو لتعظيم مكانة الجبال كأقوى سند للشعب الكردي وكرمز للصمود، كما عبّر عنه الرئيس مسعود البارزاني بقوله: "ليس لدينا صديق سوى الجبال".

وفي وصف الكاتب لوصول البارزاني إلى الاتحاد السوفيتي، يقول: "بعد العبور من نهر آراس ودخول الأراضي السوفيتية نُقِلَ البارزاني إلى مكان ما داخل مدينة نخجوان في جمهورية أرمينيا السوفيتية، فقد وُضِعوا في معسكر مكشوف في العراء أُحيط بالأسلاك الشائكة بحراسة عدد من الجنود، ومُنعوا من الخروج إلى حدود المعسكر، وخصُص استحقاق كل فرد (٥٠٠) غرام من الخبز وصحن حساء في اليوم، كانت معاملتهم أشبه بمعاملة أسرى حرب تماماً، وأُجري تحقيق مع كل واحد على انفراد، أما الجرحى فنُقِلوا إلى المستشفى للمعالجة" (البارزاني، ١٩٩٧، صفحة ٢٥٧/١). تُحدد الإشاريات المكانية في هذا النص تلك الأماكن التي وقعت فيها الأحداث بدقة، بدءاً من (نهر آراس) الذي يمثل الحدود الجغرافية بين الاتحاد السوفيتي وأرمينيا وإيران وتركيا، وتُحدّد نقطة البداية وعبور البارزاني ورفاقه النهر المذكور، مروراً بالأراضي السوفيتية ومدينة نخجوان، ووصولاً إلى تفاصيل المكان الذي أُجبروا على البقاء فيه مثل (معسكر). وفي قوله: (نُقِلَ البارزاني إلى مكان ما)، نجد إشارة إلى مكان غير محدد، وهذا إمّا أن يقصد الكاتب عدم تحديده لأغراض سياسية، أو لعدم توافر معلومة دقيقة عن اسم المكان آنذاك. وقد شاركت هذه الإشارات في خلق تصور واضح للبيئة المكانية؛ إذ إنَّ الغموض في (مكان ما) قد يكون مقصوداً ليُضفي على السرد طابعاً واقعياً يعكس حالة التعتيم التي واجهوها.

وقد لجأ الكاتب أيضاً إلى الإشاريات المكانية في سياق حديثه عن نكسة ثورة أيلول: "أجل، في آذار ١٩٧٥ أصيبت ثورة أيلول بنكسة، إلاّ أنّ هناك حقيقة تتعلق بالنكسة لا يمكنني إغفالها هنا، فلو أنّ البارزاني قبل بأيِّ مساومة على كركوك ووافق على أنْ تخرج عن الحدود المرسومة للحكم الذاتي لما انجرّ الأمر إليها، ومع ذلك فإنّه لم يتنصّل من المسؤولية وقبلها على نفسه كما قبلها أيضاً أخي إدريس طواعية" (البارزاني، ١٩٩٧، صفحة ١٣/١). اسم المكان (هناك) يأتي للدلالة على حقيقة أو موقف معنوي "بعيد" عن سياق الكلام المباشر، بينما (هنا) تحدد الحيز النصي الحالي الذي

يعرض فيه الكاتب الحقيقة. وهذان الاسمان يُؤكدان التمييز بين السياقات المكانية (النصية والواقعية) ويُظهران اهتماماً خاصاً بالحقيقة المعروضة في الحاضر.

أمّا مدينة (كركوك) فهي تشير إلى المكان الذي هو من أهم نقاط الخلاف؛ فهي جزء رئيس من القضية الكردية، وشكلت سبباً رئيساً في عدم التوصل إلى اتفاق مع الحكومة العراقية. وتعدّ كركوك محور الكلام في سياق النص لأنها تشير إلى موقع جغرافي مؤثر في صراع تاريخي طويل، كما تبرز أهمية المدينة ضمن "الحدود المرسومة للحكم الذاتي"، مما منح النص أبعاداً سياسية وقومية وجغرافية.

وأخيراً؛ فإنَّ الإشاريات المكانية في التحليل التداولي أفادت في تحديد المواقع الجغرافية وتتابعها، وخلقت تصوراً واضحاً لتحرك القوات ومسارها. ومن ثمَّ فإنَّ ربط هذه الإشارات بالمؤشرات الزمنية يُعزز دقة السرد، ويُظهر التنظيم والتفصيل الذي استعمله الكاتب لتوثيق الأحداث.

المطلب الثاني: الإشاريات الاجتماعية والخطابية في خطاب الرئيس:

أولاً: الإشاريات الاجتماعية (العرفية) social deixis

يختلف هذا النوع من الإشاريات عن غيره بكونه ألفاظاً محددة تعتمد على السياق الاجتماعي والعرفي في تحديدها، وتؤدي البيئة الاجتماعية والثقافة الفردية دوراً محورياً في تحديد هذه الألفاظ، وهي إشارات "تبين حجم العلاقة بين المتخاطبين، سواء أكانت علاقة رسمية أم حميمية أم علاقة عابرة، وتكون تجلياتها في الألفاظ والعبارات الخاصة بالاحترام والتبجيل في العلاقة الرسمية، ولا سيّما بين الصغار والكبار" (الشمس، ٢٠٢١، صفحة ٧٣)، مثل: (سيد، ورئيس، وشيخ، وزعيم، وقائد، وباشا، وملا، ومدام، وهانم، وست، وحضرة، وعماد، وأفندم، وجنابكم، وسماحتكم، وغيرها...).

وعلى الرغم من أنَّ هذا النوع يركّز على الأشخاص، فإننا أدرجناه ضمن الإشاريات غير الشخصية؛ لأنه لا يشير إلى الهوية الشخصية للمتكلم أو المخاطَب مباشرة، بل يعتمد على السياق الاجتماعي والثقافي، أو على معرفة عامة بين طرفي التخاطب، وهي كإشاريات اجتماعية "تشير إلى علاقات اجتماعية بين المتكلمين من حيث هي علاقة ألفة أو علاقة رسمية" (بوقرة، ٢٠٠٩، صفحة ٨٧). ومن سمات استعمالها أنّها "تضع المشار إليه في مكانة اجتماعية بالنسبة إلى مَن يستخدمها، فيما عدا ما يكثر اليوم من استخدامات ساخرة أو فكاهية، وينبغي أن نلاحظ أن الإشارات الاجتماعية وغيرها من صنوف الإشارة ربما تتضافر، أو تتعارض، أو تتنافر في نص ما لتحقيق بعض غاياته البلاغية" (مزيد، ٢٠١٠، صفحة ٧٣).

تُستنبط الإشاريات أو الرموز الاجتماعية من التقاليد الاجتماعية لتقوية العبارات وتوصيل المعاني والأفكار بصورة تنسجم مع أسلوب أفراد المجتمع ومدى فهمهم لها، ويعتمد هذا النوع عادةً على شبكات تواصلية اجتماعية أو ثقافية؛ إذ تُفهم معانيها ضمن سياق محدد بناءً على العرف أو الثقافة المشتركة بينهم.

فيما ورد في الكتاب، بعد إطلاق الشيخ عبد السلام البارزاني من السجن: "تمّ عقد صلح عاد بموجبه المساجين، ودفعت تعويضات عن الأضرار التي لحقت بالمنطقة، وتسلم آمر اللواء أسعد باشا قائد الفيلق الثاني عشر ووالي الموصل وكالة مسؤولية المنطقة، واتبع هذا سياسة منصفة معقولة بعيدة عن الحقد والإرهاب وعادت الحياة إلى مجاريها، ولكن عندما تسلم سليمان نظيف مسؤولية ولاية الموصل بدأ بانتهاج سياسة الاضطهاد والإرهاب بشكل أعنف من أي وقت آخر في السابق وأرسل جيشاً جراراً في عام ١٩١٣، لاعتقال الشيخ عبد السلام الذي ترك المنطقة مرة أخرى قاصداً كردستان إيران وحل ضيفاً على السيد طه بن محمد صديق النهري وذلك في قرية رازان قرب أورمية، وخصص الباب العالي جائزة ثمينة لمن يلقي القبض عليه حياً أو ميتاً" (البارزاني، ١٩٩٧، صفحة ٢٧/١).

وقد دُوِّنَتْ أحداث هذه الفترة بعد الصلح بين السلطة العثمانية والقائد الثوري الكوردي الشيخ عبد السلام البارزاني بشأن المسجونين، وحينئذٍ كان الشيخ يعمل على الإصلاح بين القوى السياسية اجتماعياً وسياسياً، وعليه فإنَّ عَقْد الصلح ودَفْع التعويضات عن الأضرار هنا إشارة إلى قيم اجتماعية سامية، وتعكس التزاماً عرفياً وأخلاقياً بإعادة التوازن الاجتماعي في المنطقة. وعبارة (تسليم آمر اللواء مسؤولية المنطقة) إشارة إلى السلطة المركزية عند (أسعد باشا)، وهي دليل على ممارسة السلطة العثمانية المركزية لتثبيت الأمن والنظام في الموصل، كذلك هي رمز لسيادة القانون وتوزيع السلطات. ثم نجد كلمة (الإرهاب) في جملة (بدأ بانتهاج سياسة الاضطهاد والإرهاب)، ويعدُّ الإرهاب خروجاً عن القيم السياسية والاجتماعية ودليلاً على اختلاف أنماط الحكم التي انتهجها سليمان نظيف، وهذه إشارة إلى استعمال القوة والترهيب ليثبت سياسته جبراً وبالقوة، مما يبرز التكتلات داخل النظام السياسي العثماني وتأثيرها في المجتمع.

وغالباً ما يُطلق لقب (الشيخ) لزعماء الكرد المشهورين، ومنهم الشيخ عبد السلام البارزاني، وهذا يعكس مكانته الدينية والاجتماعية البارزة؛ فهو ليس مجرد شخصية دينية، بل قائد ذو نفوذ واسع ومكانة اجتماعية بارزة عند الشعب الكوردي، ودليل على ما له من احترام بوصفه زعيماً روحياً وسياسياً لهم. كما في تسمية (السيّد) للسيد طه النهري، ولكن لهذه التسمية قالب ديني أكثر من كونه سياسياً، ولفظ (باشا) الذي يعني الحاكم، أو الوالي، أو صاحب السلطة الأعلى في المنطقة. وكلُّ هذه التسميات أو الإشاريات السياسية والاجتماعية تُبرز لنا مكانة الأشخاص والتنوّع في توزيع السلطة السياسية والاجتماعية والدينية والمراتب العسكرية والإدارية للأشخاص المذكورين في النص؛ فلولا هذه

السوابق لما حصلنا على توزيع المراتب بينهم. وبعد توزيع هذه الألقاب نستطيع أن ندخل في واقع الأحداث بشكل أسهل وأصح، مما يساعدنا في فهم الأحداث وتحديد المراتب المذكورة للأشخاص.

وجاء في موضع آخر: "وما يهمني أنْ أشيرَ إليه هو أنّ الكرد عندما دخلوا الإسلام دخلوا طواعية، ولم يكن لديهم مانع في أن ينصهروا في بوتقة الإسلام، إذ كانت الشعوب الأخرى مستعدة أيضاً لتنصهر في بوتقة الإسلام، وطالما كان العرب يحكمون باسم الإسلام فإن الكرد لعبوا أهم الأدوار لتعزيز دعائم الحكم الإسلامي والدليل على ذلك ما قام به صلاح الدين الأيوبي، البطل الكوردي المشهور، ولكن عندما ظهرت الدعوات القومية، من العرب وغيرهم، طالب الكرد بحقوقهم القومية وهذا حق طبيعي" (البارزاني، ١٩٩٧، صفحة ١٠٥/٢). وصفَ المؤلفُ صلاحَ الدين الأيوبي بـ(البطل الكوردي المشهور)؛ لشجاعته وشهامته، ولهذا اللقب طابع اجتماعي وقومي؛ إذ يشير إلى مكانته البارزة في الوعي الجماعي الكوردي والإسلامي، ويبرز قدرته على قيادة العرب والكرد وروح التعاون بينهما ضد الاستعمار والاضطهاد في زمنه. فعرض عن طريقها أهمية التعاون والوحدة، ولا شكّ أنّ هذه الإشارة تُعدُّ جزءاً من توضيح النص؛ فالقارئ بواسطتها يستطيع أن يفهم النص بسهولة دون اللجوء إلى مصادر أخرى للبحث عن هوية صلاح الدين الأيوبي. فالإشارة الاجتماعية في هذه الفقرة وُظِّفت لإظهار حقيقة تاريخية وقومية لشخصية صلاح الدين الأيوبي، إذ تمَّ تثبيت هويته الكوردية التي دار حولها نقاش وجدل هنا وهناك.

ثانياً: الإشاريات الخطابية (النصية)discourse deixis

تُستعمل الإشاريات الخطابية (Discourse Deixis) في النص وسيلةً من وسائل الربط بين الجمل والنصوص، وتُنجز بواسطتها فعّالية النص وحيويته، بحيث لا يشعر القارئ بالملل عند قراءته للنص. ومنها: (في الفقرة السابقة، ومن جهة أخرى، وفيما ذكرنا، وفيما يلي، وفي هذه الرواية، وفيما سبق...). "هذه إشارات نصية تنظيمية تحيل إلى أجزاء في النص أو الخطاب، وتسعى إلى تنظيمه وتحقيق السبك والحبك فيه" (مزيد، ٢٠١٠، صفحة ٧١). وفضلاً عن الوظيفة التداولية لها التي تجعل التواصل مفهوماً وسهلاً، فإنها تشارك في الجانب الشكلي للنص وجماليته، وتمنح القارئ نوعاً من الترتيب لفقرات النص وأحداثه.

قد يختلط هذا النوع من الإشاريات بالإحالة الشخصية؛ ولذلك "أسقطها بعض الباحثين من الإشاريات، ولكن منهم من ميّز بين النوعين، فرأى أنّ الإحالة يتحد فيها المرجع بين ضمير الإحالة وما يشير إليه مثل (زيد كريم وهو ابن كرام أيضاً)، فالمرجع الذي يعود إليه (هو) وزيدٌ واحد. أما إشاريات الخطاب فهي لا تحيل إلى ذات المرجع، بل تخلق المرجع؛ فإذا كنت تروي قصة ثم ذكرتُك بقصة أخرى فقد تشير إليها، ثم تتوقف قائلاً: (لكن تلك قصة أخرى)، فالإشارة

هنا إلى مرجع جديد. على أنّ هذا التمييز بين إشاريات النص والإحالة إلى عنصر فيه ليس حاسماً؛ ذلك بأنّ الإحالة في قصاراها ضرب من إشاريات النص، أو هي أساس فيها" (النجار، ٢٠١٣، صفحة ٩٤).

يُعدّ هذا النوع من الإشاريات من أهم الأدوات التي تشارك في بناء نصٍ منظَّم متناسق تداولياً ونصياً، فهو يمثل جسراً يربط بين أجزاء النص ويحقق له نصيته، ويجعله أكثر ووضوحاً وسهولةً في الفهم. ومن الصعب أن يتمكن كاتب من إتمام كتابه أو نصه دون اللجوء إلى هذه الإشاريات التي تُعد عنصراً أساساً في النص، ولا سيّما في الكتابة المعاصرة. وقد استعان الكاتب في بدء هذه الفقرة بالإشاريات الخطابية بقوله: "يتضح مما سبق بيانه أنّنا نمرّ بظروف غير اعتيادية تحتم على المسؤولين أن يبالغوا في الحيطة والحذر، وأن يتجنبوا الحوادث التي من شأنها أن تفسح المجال أمام الطامعين ليستغلوا هذا الوضع غير الطبيعي طيلة مدة الحرب..." (البارزاني، ١٩٩٧، صفحة ١٠٥/١). وأكثر التعبيرات الخطابية نجدها في بداية النصوص، وذلك لوظيفتها الرابطة بين الفقرة المذكورة والفقرة السابقة لها، مما يضمن استمرار التسلسل في الأفكار وانسيابها بسلاسة. فعبارة (يتضح مما سبق) إشارة واضحة للتوضيحات السابقة، مما يُغني عن إعادة ذكر التفاصيل بالكامل، وهذا النهج لا يُسهّل عملية الكتابة فحسب، بل يساعد القارئ أيضاً على استذكار المعلومات السابقة بسهولة؛ فهو استرجاع ذهني يُحفّز القارئ على تتبع الروابط بين الأجزاء المختلفة للنص واستيعابها بعمق.

وهناك تعبيرات خطابية أخرى تربط بين الأفكار أو تُسهل الانتقال من فكرة إلى أخرى متصلة أو مختلفة، كما في هذه الفقرة: "ومن ناحية أخرى، فإذا ما ظهر أنّ مثل هذا الخطر حقيقي بقيام دولة كردية تابعة، أو إذا ما انضم العراق إلى الجمهورية العربية المتحدة فقد يظهر هناك موقف جديد. إذ إنّ فكرة قيام دولة كردية مستقلة، مهما كان انحيازها السياسي، هو لغز بالنسبة للأتراك ولا يُحتمل أن يسمح الأتراك للأقاليم العراقية في الشمال" (البارزاني، ١٩٩٧، صفحة ٣٠/٢). فعبارة (ومن ناحية أخرى) وما يشبهها، غالباً ما تعطي منظوراً مختلفاً مقارنة بما سبق، فتساعد في تعزيز التوازن في بناء النص، وتساعد القارئ على التفكير في الموضوع من أكثر من جانب، وتضفي على النص ديناميكية وتنقل القارئ بسلاسة بين الأفكار المختلفة؛ فالقارئ يشعر مباشرة بأجزاء أخرى متكاملة لهذا النص.

وهناك أدوات خطابية أخرى تؤكّد صدق الفكرة أو تثبيتها في النقل، مثل: (لا شكّ، وفي الحقيقة، ومن الواضح... إلخ). ومن هنا، ذكر الكاتبُ الحلول السلمية للقضية الكوردية، فكتب: "...لا شكّ فيه أنّ الكثير من العقبات والعراقيل اعترضت مسيرة السنوات الأربع الماضية من المشاكل، ولكن الحقيقة التي لا يرقى إليها الشك هي أنّ أيّ بديل لسلوك الطريق السلمي لحل المشكلة لا يجلب غير الدمار والكوارث لشعبنا بعربه وأكراده وأقلياته ولوطننا ككل، ولا يستفيد منه إلّا الأعداء المتربصون بنا في الداخل والخارج" (البارزاني، ٢٠٠٢، صفحة ٦٠٨/٣). إنّ توظيف إشارة خطابية (لا

شكّ فيه...) يضفي على النص صحةً وثقةً، ويُظهر مصداقية الكاتب وتأكيده، فيأتي بها لإزالة الغموض من ذهن القارئ حول الموضوع. وقد عمد الكاتب إلى تثبيت (العقبات والعراقيل) بعد الإشارة الخطابية (لا شكّ)؛ مما يصعب معه إنكار وجودها عند القارئ، ويجعله يشعر بأنّ الفكرة المطروحة مدعومة بحقائق لا جدال فيها.

يُعدّ التأكيد في الرأي جزءاً من العملية التواصلية التي يأتي بها الكاتب لتأمين تسلسل أفكار القارئ وإبعاده عن الشكوك والتردّد، وتثبيت أيّ رأي أو موضوع يحتاج إلى أدلة واضحة وألفاظ دقيقة تُعبّر عن الواقع، فضلاً عن تعبيرات واثقة تُشعر القارئ بواقعية الموضوع. وهذا لا يقتصر على الصحة العلمية أو المنطقية فحسب، بل يشمل أيضاً تقديم المتعة الفكرية والجمالية للمتلقي، مما يجعل النصوص أكثر تأثيراً وقبولاً. والنصوص التي تفتقر إلى هذه العناصر الخطابية -أو النصية- تبدو كأنّها تراكم لمكونات حائط دون أي تماسك أو ترابط بينها؛ مما يضعف أثرها التواصلي. لذلك، يُلجأ إلى هذه الإشاريات والمراجع بشكل كبير، لدرجة أننا عندما نحاول تحليل تلك النصوص، نعتمد على هذه الأدلة ونستشهد بها؛ مما يُبرز أهميتها كأداة لا غنى عنها في صياغة النصوص وتحليلها.

النتائج:

١- وظَّف الكاتب الإشاريات غير الشخصية في نصوصه لتحقيق اقتصاد لغوي وتنظيم النص بطريقة مرتبة، مما ساعد في بناء فكرة مترابطة وسهلة الفهم للقارئ.

٢- بما أنَّ نصوص الكتاب ذات طابع سردي واقعي، فقد اهتم الكاتب بالإشاريات الزمانية والمكانية في مواضع مختلفة ولأغراض متعددة؛ إذ استعمل الإشاريات الزمانية لتحديد المدّة الزمنية بدقة وتقديم سرد أمين للأحداث. وفي بعض المواضع، قام الكاتب بنقل دقيق للأحداث عبر ذكر اليوم والشهر والسنة، مما يقرب القارئ من تفاصيل الحدث. كما لجأ إلى تحديد مواقع الأحداث بدقة عبر ذكر أسماء القرى والأرياف والجبال والسهول، مما أسهم في تعزيز واقعية السرد وتقريب صورة الحدث إلى ذهن القارئ.

٣- في بعض المواضع، لجأ الكاتب إلى استعمال أزمنة غير دقيقة أو أماكن غير محددة لأغراض متعددة؛ منها عدم الرغبة في ذكر التفصيلات، أو ترك المجال للقارئ ليتفكر في الزمان أو المكان المذكور، أو ربّما لعدم وضوح التسلسل الزمني أو المكاني لدى الكاتب في أثناء السرد.

٤- استعمل الكاتب تعابير خطابية كثيرة، حقق عن طريقها أغراضاً تداولية ونصيّة متنوّعة، كتسهيل العملية الإبلاغية للقارئ، وإحداث ترابط نصيّ بين أجزاء النص، والوصول إلى تراكيب نحوية سليمة أفلحت في نقل المعاني والمعلومات بدقة.

٥- للإشاريات الاجتماعية أثر بارز ومهم في توضيح النص؛ فاستعمل الكاتب ألقاباً مثل: (الملا، الآغا، الشيخ، الباشا)، مما ساعد في تحديد الوظائف والمناصب الشخصية، كما في استعمال لقبي (الرئيس والوزير) للإشارة إلى السلطة المركزية. وتشير ألقاب (الشيخ، الملا، السيد) إلى المكانة الدينية والاجتماعية، مما يمنح الشخصيات احتراماً دينياً واجتماعياً، ويعكس واقع التراتبية السياسية والاجتماعية في تلك الحقبة.

المصادر:

أرمينكو، فرانسواز، (د.ت)، (المقاربة التداولية)، ترجمة: سعيد علوش، مكتبة الأسد.

برتيمة، وفاء، (٢٠٢٣)، (على هامش التداولية)، (الطبعة الأولى)، دار الخليج.

البستاني، بشرى، (٢٠١٢)، (التداولية في البحث اللغوي والنقدي)، (الطبعة الأولى)، مؤسسة السياب، لندن.

بوقرة، نعمان، (المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب)، (الطبعة الأولى)، جادارا للكتاب العالمي، عمّان- الأردن.

ذهبية، حمو الحاج، (٢٠١٢)، (لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب)، (الطبعة الأولى)، دار الأمل.

الزناد، الأزهر، (١٩٩٣)، (نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً)، (الطبعة الأولى)، المركز الثقافي العربي.

سيرفوني، جان، (١٩٩٨)، (الملفوظية)، ترجمة: قاسم المقداد، اتحاد الكتاب العرب.

الشمس، خالد حوير، (٢٠٢١م)، (مهاد في التداولية)، (الطبعة الأولى)، مركز الكتاب الاكاديمي، عمان.

الشهري، عبد الهادي بن ظافر، (٢٠٠٤)، (إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية)، (الطبعة الأولى)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا.

عكاشة، محمود، (٢٠١٣)، (النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، (الطبعة الأولى)، مكتبة الآداب، القاهرة.

علوي، حافظ إسماعيلي، (٢٠١٤)، (التداوليات علم استعمال اللغة)، (الطبعة الثانية)، عالم الكتب الحديث. إربد- الأردن.

مزيد، بهاء الدين محمد، (٢٠١٠)، (تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي)، (الطبعة الأولى)، القاهرة.

المطاشة مجيد، الركابي أمجد، (٢٠١٨)، (مسرد التداولية)، (الطبعة الأولى)، دار الرضوان، عمان- الأردن.

النجار، نادية رمضان، (٢٠١٣)، (الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي)، (الطبعة الأولى).

نحلة، محمود أحمد، (٢٠٠٢)، (آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر)، دار المعرفة الجامعية.

يول، جورج، (٢٠١٠)، (التداولية pragmatics). ترجمة: قصي العتّابي، (الطبعة الأولى)، دار الأمان- الرباط.

.Y. Bar-hillel, (Indexical Experssions), In Aspect of language, Ed: magnes, 1970

خطاب، ريبوار عبد الله، وحمد، علي عبد الله، (٢٠٢٣)، "الإشاريات الشخصية في الكاشف عن حقائق السنن للطيبي (ت ٧٤٣ ه)" المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢ (٢): *667-648*.

السلمي، بندر مغنم، (٢٠٢١) "الإشاريات، المفهوم والأنواع والوظائف"، حولية كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، (٢٥): ١٣٦٧٥-١٣٧٠٧.

طه، نهلة حسين، ٢٠٢١، "تداولية الإشاريات في قصّة موسى عليه السلام"، مجلة العصر للعلوم الإنسانية والاجتماع، (١): ٣١-٤٠.

يحي، ريمة، ومرداسي جودي، ٢٠٢١، "المقاصد التداولية للإشاريات الزمكانية في شعر عبد الله البردوني"، مجلة (لغة - كلام)، ٧ (٣): ٢٨٠-٢٩٢.